

السؤال

كنت قد نشرت مقالاً على " الفيس بوك " أحذر فيه الإخوة والأخوات من المنجمين وعلم التنجيم ، ثم قام أحد الإخوة فردّ عليّ ونشر مقالاً وذكر فيه أشياء غريبة ، وأريد أن أسألكم عنها . فقد ذكر الأخ في مقالته - التي اقتبسها من مصدر شيعي - أن إبراهيم عليه السلام ولد في سوريا في زمن النمرود ، وكان النمرود يدعي الألوهية آنذاك ، وأخبره المنجمون أن صبيّاً سيولد ، وسيقوّض ملكه ، ويدعو الناس إلى الكفّ عن عبادة غير الله ، فبدء النمرود بالبحث عن هذا الصبي...الخ. ثم تساءل هذا الأخ وقال : كيف استطاع المنجمون أن يتنبؤوا بمولد إبراهيم عليه السلام ؟ عموماً ، أنا لا أتفق مع معظم ما جاء في هذه المقالة : أولاً لأنها أخذت من مصدر شيعي ، وهذا المصدر لا شك أنه غير موثوق . ثانياً : لأن إبراهيم عليه السلام - على حد علمي - ولد في بابل العراق ، وليس في سوريا . كما أنني لم أستطع أن أجد أصل قصة المنجمين هذه التي ذكرها ، فلا ندري إن كانت صحيحة أم إنها كذبة من كذبات الشيعة . لذلك أريد منكم - مشكورين - إلقاء الضوء على هذا الموضوع والتفصيل فيه ، حتى إذا رددت على هذا الأخ أردّ بعلم ومعرفة . جزاكم الله خيراً .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

يقسم أهل العلم علم النجوم إلى نوعين :

النوع الأول : العلم بأسماء النجوم ، ومطالعها ، ومساقطها ، ودلالاتها على الزمان والمكان والاتجاه ، ونحو ذلك من الأمور المحسوسة ، التي دلت التجربة المشاهدة المنضبطة على تلازم النتيجة فيها مع المعطيات ، وتأثير الأسباب فيها بالنتائج على الوجه الظاهر المناسبة .

وهذا النوع لا بأس بتعلمه وتعليمه ، ولم ترد الأدلة بالنهي عنه ، ولا كراهة النظر فيه ، بل جاء في القرآن الكريم ما يدل على إباحته وامتنان الله عز وجل به على الناس ، حيث يقول الله عز وجل : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) الأنعام/97. ويقول سبحانه وتعالى : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يونس/5.

النوع الثاني : الاستدلال بمواقع النجوم وسيرها الفلكي على الحوادث الأرضية : من موت ، أو ولادة ، أو انتشار بلاء ، أو وقوع فاجعة ، أو تحقق سعادة ، ونحو ذلك من الأمور التي لا يظهر وجه عقلي تجريبي لارتباطها بالأحوال الفلكية ، وإنما هي التخرصات والظنون التي لم تثبت الأدلة والبراهين .

وهذا النوع هو الذي جاءت الأدلة الشرعية على تحريم تعاطيه ، وتحريم تعلمه وتعليمه والنظر فيه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" صناعة التنجيم التي مضمونها الأحكام والتأثير ، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية ، والتمزيح بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية : صناعة محرمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ؛ بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين في جميع الملل ، قال الله تعالى : (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) طه/69 ، وقال : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ) النساء/51 . قال عمر وغيره : الجبت : السحر .

وروى أبو داود في سننه بإسناد حسن عن قبيصة بن مخارق عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الْعِيَافَةُ وَالطَّيْرَةُ وَالطَّرْقُ مِنَ الْجِبْتِ) قال عوف راوي الحديث : العيافة زجر الطير ؛ والطرق : الخط يخط في الأرض . وقيل بالعكس . فإذا كان الخط ونحوه الذي هو من فروع النجامة من الجبت ؛ فكيف بالنجامة ! وذلك أنهم يولدون الأشكال في الأرض ؛ لأن ذلك متولد من أشكال الفلك .

وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه وغيرهم بإسناد صحيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ) ، فقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن علم النجوم من السحر ؛ وقد قال الله تعالى : (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) طه/69 ، وهكذا الواقع ؛ فإن الاستقراء يدل على أن أهل النجوم لا يفلحون ؛ لا في الدنيا ولا في الآخرة .

وروى أحمد ومسلم في الصحيح عن صفية بنت عبيد ؛ عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (مَنْ أَتَى عَرَاْفًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) والمنجم يدخل في اسم العراف عند بعض العلماء ، وعند بعضهم هو في معناه . فإذا كانت هذه حال السائل فكيف بالمسئول .

وروى أيضا في صحيحه عن معاوية بن الحكم السلمي قال : (قلت : يا رسول الله ! وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَانَ . قَالَ فَلَا تَأْتِيهِمْ)

فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إتيان الكهان ، والمنجم يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي وغيره من العلماء ، وحكي ذلك عن العرب ، وعند آخرين هو من جنس الكاهن وأسوأ حالا منه فلحق به من جهة المعنى .

وقد حكى الإجماع على تحريمه غير واحد من العلماء : كالبيغوي ، والقاضي عياض ؛ وغيرهما .

وفي الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني أنه قال : (صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ : فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ : فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ . وَأَمَّا مَنْ قَالَ : بِنُورٍ كَذَا وَكَذَا : فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي ، وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ)

وقد اعترف رؤساء المنجمين من الأولين والآخرين أن أهل الإيمان أهل العبادات والدعوات يرفع الله عنهم – ببركة عباداتهم ودعائهم وتوكلهم على الله – ما يزعم المنجمون أن الأفلاك توجبه .

ويعترفون أيضا بأن أهل العبادات والدعوات ذوي التوكل على الله يعطون من ثواب الدنيا والآخرة ما ليس في قوى الأفلاك أن

تجلبه .

فالحمد لله الذي جعل خير الدنيا والآخرة في اتباع المرسلين ، وجعل خير أمة هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " انتهى .

" مجموع الفتاوى " (196-35/192)

ثانيا :

جميع ما سبق لا ينفي أن يصيب المنجم في بعض ما يخبر به من الحوادث أنه كائن ، فيقع كما أخبر به ، ولكن ذلك لا يعني بحال من الأحوال صحة المسلك الذي اتبعه ، وصواب المنهج الذي سلكه ، بل إن صوابه الذي اتفق له باطل الدليل ، حاصل بمحض الصدفة ، قليل مغمور في جنب الكذب الذي يصاحبه .

ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن الذين يسترقون السمع من الجن أنهم قد يسمعون شيئا مما تتحدث به الملائكة عن مستقبل القدر ، وربما ألقى الجني ما سمعه إلى الكاهن في الأرض ، وربما احترق الجني قبل أن يفعل ذلك ، ورغم ذلك كانت الكهانة من كبائر الذنوب لما فيها من تعاطي علم الغيب بغير الأسباب الشرعية .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
(إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانَ - وَهُوَ السَّحَابُ - فَتَذَكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ ، فَتَسْتَرْقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ ، فَتَسْمَعُهُ ، فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ)

رواه البخاري (رقم/3210)

ولذلك قال القاضي عياض رحمه الله :

" هذا الضرب - يعني المنجمين - يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما ، لكن الكذب فيه أغلب " انتهى .

نقلا عن " شرح النووي على مسلم " (14/223)

ويقول الخطيب البغدادي رحمه الله :

" يدخل الشبه على الناس في أمر المنجمين من قبيل أنهم يرون المنجم يُصيب في مسألة تقع بين أمرين ، كالجنين الذي لا يخلو من أن يكون ذكرا أو أنثى ، أو المريض الذي لا يخلو من أن يصح أو يموت ، والغائب الذي لا يخلو من أن يقيم بمكان أو يؤوب ، ومن شأن الناس أن يحفظوا الصواب للعجب به والشغف ، ويتناسون الخطأ ؛ لأنه الأصل الذي يعرفونه ، والأمر الذي لا ينكرونه ، ومن ذا الذي يتحدث بأنه سأل المنجم فأخطأ؟! وإنما يتحدث بأنه سأله فأصاب ، والصواب في المسألة إذا كانت بين أمرين قد يقع - أحيانا - للمعتوه والطفل ، فضلا عن المتلطف الرفيق .

وإن وُجد لمن يدعي الأحكام إصابة في شيء ، فخطؤه أضعافه ، ولا تبلغ إصابته عشر معشاره ، وتكون الإصابة اتفافا ، كما يظن الظان المنافي للعلم المقارن للجهل الشيء فيكون على ظنه ، ويخطئ فيما هو معلوم أكثر عمره... ولا فرق بين المنجم والكاهن ؛ إذ كل واحد منهما يدعي الإخبار بالغيوب ، وكيف يسلم للمنجمين ما يدعونه وأحدهم على التحقيق ما يعرف ما حدث في منزله ، ولا ما يصلح أهله وولده ، بل لا يعرف ما يصلحه في نفسه ، ويؤثر عنه أن يخبر بالغيوب الذي لم يؤته الله أحدا ، ولم يستودعه بشرا إلا لرسول يرتضيه ، أو نبي يصطفيه " انتهى .

" القول في علم النجوم " (ص/192-194)

ويقول الشيخ ابن باز رحمه الله :

" قد يصادف القدر حاجة شخص ، فيظن المسكين أنه بأسباب هذا المنجم ، أو بأسباب هذا الكاهن حصل هذا الأمر ، وقد يكون وصف لشخص دواء آخر غير ما يزعمه عن النجوم والتنجيم من الأدوية المعروفة ، والتي يعرفها لهذا المرض ، فيظن المريض أنه حصل له الشفاء بأسباب دعوى هذا المنجم علم الغيب ، أو من أسباب تعاطيه النظر في النجوم ، أو غير ذلك . فالحاصل أن وجود الشفاء في بعض الأحيان بعد إتيان الكهان أو المنجمين أو الرمالين أو غيرهم لا يدل على صحة ما هم عليه ، فالمشركون أنفسهم - عباد الأصنام - قد يأتون إلى الصنم ويسألونه ، فيقع لهم ما أرادوا بإذن الله عز وجل صدفة ، ولحكمة أرادها الله جل وعلا ، أو بواسطة الشياطين ، فصارت ابتلاء وامتحاناً ، لا من الصنم ، فالصنم ما فعل شيئاً ، والجني الذي عنده ما فعل شيئاً ، ولكن قد يوافق القدر أن هذا المرض يزول ، وهذا البلاء يزول بعدما جاء هذا المسكين إلى الصنم وسأله أو ذبح له ، فيقع ذلك ابتلاء وامتحاناً ، من غير أن يكون ذلك من عمل الساحر ، أو من عمل الصنم ، أو من عمل الجن ، أو غير ذلك ، فيقع للمشركين أشياء تغريهم بأصنامهم حتى يعبدوها من دون الله . فلا ينبغي للعاقل أبداً أن يغتر بما يقع على أيدي هؤلاء المنجمين ، أو الكهنة والعرافين أو السحرة ، بل يجب أن يبتعد عنهم ، وألا يُصدِّقهم " انتهى.

" مجموع فتاوى ابن باز " (8/89-90)

ثالثاً :

إذا تبين ما سبق لم يكن في ثبوت قصة المنجمين في عهد النمرود وإبراهيم عليه السلام - على فرض ثبوتها - أي إشكال علمي ولا شرعي ، إذا لا يبعد أن يصادف كلام المنجمين بعض الصواب ، ولكن الكذب فيهم أغلب ، والفساد في علومهم أعم .

ومع ذلك نقول أيضاً : إن القصة لم تثبت بالإسناد الصحيح ، إنما يحكيها بعض المؤرخين حكاية مجردة من غير إثبات ولا برهان .

يقول ابن كثير رحمه الله :

" وذكروا أنه طلع نجم أخفى ضوء الشمس والقمر ، فهاهنا ذلك أهل ذلك الزمان ، وفزع النمرود ، فجمع الكهنة والمنجمين وسألهم عن ذلك ، فقالوا يولد مولود في رعيك يكون زوال ملكك على يديه ، فأمر عند ذلك بمنع الرجال عن النساء ، وأن يقتل المولودون من ذلك الحين ، فكان مولد إبراهيم الخليل في ذلك الحين ، فحماه الله عز وجل وصانه من كيد الفجار ، وشب شباباً باهراً ، وأنبتته الله نباتاً حسناً حتى كان من أمره ما تقدم ، وكان مولده بالسوس ، وقيل ببابل ، وقيل بالسواد من ناحية كوثي ، وتقدم عن ابن عباس أنه ولد ببرزة شرقي دمشق ، فلما أهلك الله نمرود على يديه وهاجر إلى حران ، ثم إلى أرض الشام ، وأقام ببلاد إيليا كما ذكرنا " انتهى.

" البداية والنهاية " (1/200)، وقد ذكر الخطيب البغدادي في " تاريخ الأنبياء " (ص/66-68) تفاصيل مطولة لهذه القصة ، يمكن مراجعتها هناك ، غير أنها كلها تروى من غير إسناد ولا إثبات .



والله أعلم .